وأرى الدهر كالوغى وقديما كان بين الانام هذا الخصام
فارفع الارض فوق قرنيك وأمر يملأ الارض بعد ذاك السلام
أو فعد للسماء ان الشياطين عليهم باب السماء حرام
وتحد الورى بسخفك أو سحـ ـرك ان الكرى له أحلام
لو سألت الحمار حين تراه في نهيق لقال ذي أحكام

مصطفى صادق الرافعي

باب الاجتهاد والآراء

نصيحة الاستاذ الامام

(لاهل الجزائر وتونس)

من يعرف الاستاذ الامام يعرف ان كل حديثه في جميع أوقاته نصح وتعليم فمجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك نعتقد ان الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح لا تحصى ونكتفي النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافه بها أهل العلم والدراية في القطرين هي

(١) الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد اليها في الخطاب الذي ألقاه في تونس. و (٢) الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة. و (٣) مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة. وبهذا الاخير تم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ما قابله فان الحكومات في جميع الارض يضيقون على البلاد التي يستعمرونها ما داموا يعتقدون ان أهلها ساخطين عليهم أو لهم ضلع مع حكومة أخرى. وهذا الاعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات فاذا تكشف ظلامتهم بعد الاتجاه اليها في كشفها كانوا معذورين اذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر

والمشهور عند العارفين بالسياسة العامة ان فرنسا تبحث دائما عن طريقة يطمئن بها أهل الجزائر لحكومتهم وتطمئن هي لرضاهم عنها ولا شك ان هي الطريقة تنفع الحاكم والمحكوم وعدم السير فيها يضر بالمحكوم أكثر مما يضر بالحاكم. ونحن نعتقد أن الطريقة الوحيدة هي حسن المعاملة من فرنسا واعراض الجزائريين والتونسيين عن السياسة الى

العلم الذي ينير العقول، والعمل الذي يشغل عن الفضول ، وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاستاذ الامام انس من الحكومة الفرنسية هناك الميل الى هذه المعاملة وأنس من اهالي الجزائر الرجاء الحسن بحاكمهم الجديد (موسيو جونار) وقد ذكرنا في جزء سابق ان الموسيو (روا) يميل في تونس الى هذا المذهب حقق الله الرجاء وأصلح الاحوال بمنه وكرمه

﴿ الخطر في مراكش ﴾

استفحل أمر الخارج على الحكومة المراكشية وكانت الحرب بينه وبينها سجالا الا ان الظفر في جانبه أكثر وقد تبين ان الخارج أو القائم من بيت الملك وهو (مولاي محمد) وان اسم (أبو حمارة) كان لقبا مستعارا . وقد توالى انتصار القائم أخيرا ويظن أنه لو أنه هاجم السلطان مرة واحدة لرجح ان يظفر ويقضي الامر . ولا ريب ان كل حال تنتقل اليها تلك البلاد هي خير من حالها الحاضرة في الفتنة وقبل الفتنة بمئة سنة ونيف فاذا ظفر مولاي محمد فلا بد أن تجدد البلاد حكومة فيها شيء من القوة والنظام وينتظر ان تكون أمثل من حكومة عبد العزيز على كل حال فان هذا مفتون بالزينة والترف فقد كانت البلاد في النزاع والنزع والدول الاوربية في التنازع عليها وهو على إملاق حكومته يرسل ذلك الشاب التونسي الذي تقرب منه بما يعلمه الجيرون ليشتري له من أوربا ما تصبو اليه نفسه من الات الزينة وأدواتها وماعونها وأثاثها ويشتري له من الاستانة الولدان والجواري الناعمات الحسان ليتمتع كما يتمتع غيره ممن كان ولا يزال على شاكلته

فتن هذا السلطان بزخرف مدنية أوربا وياليته فتن بقوتها ونظامها فسلك سبيل إبناء الوارثين للعصريين في شراء المركبات الكهربائية ونحوها فجر عليه ذلك ما وقعت فيه بلاده من الويل والثبور . ولقد كنا نصحنا لحكومته منذ ست سنين كما نصح غيرنا من الكاتبين بأن تعتني قبل كل شيء بتأليف قوة عسكرية منتظمة وبنشر المعارف وان تستعين على هذا بأحظى الدولة العثمانية . والمنار يرسل من أول نشأته الى وزير خارجية المغرب الاقصى وغيره من كبراء البلاد وليكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولا مثالنا والمغرور بقوته وان وهمية يرى انه مستغن عن جميع العالمين « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وكيف ترضى تلك الحكومة الجاهلة ان تستعين بدولة اسلامية أرقى منها وحكام المسلمين قد مرقوا الاسلام وأهله كل مرق لاجل شهواتهم التي أعظمها عندهم لقب « خليفة وأمير المؤمنين » فلو ذهبت دول الاسلام والاسلام نفسه فداء لهذه الالقاب لما كان ذلك الا قرة عين للمغرورين بها

كتب بعض الكاتبين مقالات في جريدة (الحاضرة) التونسية يصفون فيها أمراض تلك البلاد الراجعة الى الجهل والحمك بخرافات الخوارق وضعف الحكومة ورأى كاتب جزائري ان تسلم تلك البلاد الى دولة أوربية لتصلحها كما أصلحت بلاده (الجزائر) ورد عليه كاتب تونسي بأن هذا انتحار لا علاج وان الدواء الحقيقي في التعليم والنظام والقوة وانه لا يتم هذا لتلك الحكومة الا بالاستعانة بدولة أوربية وقال ان فرنسا أحق من غيرها لقربها وجوارها . ونحن نقول انه ليس من مصلحة دولة من أوربا ان تستولي الآن على مراكش استيلاء تاما بمعنى ان تضمها الى أملاكها لان المسلمين في كل بقعة وجيل أشجع الناس وأعصاهم على الخضوع للأجنبي ولا طريق الى اذلالهم وتذليلهم لاحكامهم وامرائهم فهم الذين يتيسر لهم ان يفسدوا بأسهم بالظلم المقبول منهم على الرأس والعين ويبذر بذور الترف والسرف والفسق الذي يدمر البلاد، ويهلك العباد، وهذا ثابت بالاختبار والاخبار ، وقد أوردنا في المجلد الرابع ما ورد فيه من الاحاديث والآثار ، أما اذا استعان سلطان مراكش على تمدين بلاده بدولة أوربية قبل الاخذ بالقوة كما كان يحاول عبد العزيز فيمكن بذلك ان يستولي الاجانب على تلك البلاد بسبب حكومتها ولكن تلك البلاد لا تزال بدوية لم يذلها الضعف كما ذل البلاد المصرية لمحمد علي باشا بسطوة المماليك وظلمهم فتمكن هو وذريته من الاستعانة بالدول الاوربية على تمدينها هذا التمدين الذي كان وسيلة لاحتلالهم فيها وتمكنهم منها . ولهذا لا نظن ان دولة اوربية تمدها الى مراكش بدون واسطة حكام منها انه لم يوجد في هذه القرون التي طغى فيها طوفان أوربا على الشرق حاكم مسلم سلك سبيل الرشاد في سياسة بلاده فحفظها وجعل لها شأنا عاليا الا عبد الرحمن أمير الافغان الماضي (تغمده الله برحمته) فانه سلك الطريقة المثلى التي تعلمها من ملكها قبله وهي دولة الروس التي ربي في بلادها . تلك هي طريقة القوة العسكرية المنتظمة ومنع الاجانب من دخول البلاد الا باذن خاص الى أجل معلوم ثم السعي في نشر التعليم وكان يسهل على مراكش ان تحذو حذوه كما يسهل الآن على دولة الفرس (إيران) لا سيما اذا اتفقت معه . وبلاد مراكش أقرب شبها ببلاد الافغان فان الامتين بدويتين شديدتي البأس لا يعوزها الا العلم والنظام . على ان دخول الاوربيين في البلاد بأي صفة دخلوا أقرب الى النظام والعمران وخير من الخلل والفوضى في الحكومة الاهلية الاستبدادية الجاهلية ولا بد أن يتعلم الاهالي منهم بالتدريج فنون العمران كما نرى في مصر . وكان الافضل ان يصلحوا أنفسهم بأنفسهم ولكن حكامهم لا يمكنونهم ولا يصلحونهم ولا بد من عمران الارض فان لم يعمرها أهلها عمرها الآخرون ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » .